فخار يعود لـ3000 عام يكشف شبكات التجارة القديمة بأستراليا



لندن: «الشرق الأوسط»

نُشر: 15:02-10 أبريل 2024 م .01 شوّال 1445 هـ

اكتشفت العشرات من القطع الفخارية المكسورة التي يعود تاريخها إلى ما بين 2000 و3000 عام بجزيرة تعصف بها الرياح في الحاجز المرجاني العظيم؛ وهو أقدم فخار يتم اكتشافه على الإطلاق في أستراليا.

وتمثل البقايا، التي عثر عليها الملاك التقليديون وعلماء الآثار على عمق أقل من متر تحت السطح، ممارسة استمرت لآلاف السنين لشعوب الأمم الأولى في صناعة الخزف في جيجورو (جزيرة ليزارد). وتم صنع الفخار من الطين والرمل من مصادر محلية. وقد تم حرقه قبل آلاف السنين من غزو المستعمرين البريطانيين لأستراليا عام 1788، في الوقت الذي كانت فيه مجتمعات الجزر الأخرى في المنطقة تصنع الخزف أيضًا.

ومن أجل المزيد من التوضيح، قال عالم الآثار البارز إيان ماكنيفن بجامعة موناش الأسترالية «لا تفتح هذه النتائج فصلاً جديدًا في علم الآثار الأسترالي والميلانيزي والمحيط الهادئ فحسب، بل تتحدى أيضًا الصور النمطية الاستعمارية من خلال تسليط الضوء على تعقيد مجتمعات السكان الأصليين وابتكارها». وذلك وفق ما نقل موقع «ساينس إليرت» عن مجلة مراجعات العلوم الرباعية «Quaternary Science Reviews».

ومن خلال العمل على مدار عامين تحت أشعة الشمس الحارقة ورذاذ البحر؛ قام فريق الباحثين وأفراد مجتمع Dingal وNgurrumungu الأصليين بحفر قوقعة بعمق حوالى 2.4 متر (حوالى 8 أقدام) للعثور على قطع من الفخار؛ حيث تم العثور على قطع فخارية مكسورة (تعرف باسم الشظايا في جيجورو من قبل عام 2006 ببحيرة مدية). لكن علماء الآثار لم يعرفوا كم عمرها أو من صنعها.

فلقد أدى المد والجزر اليومي إلى تآكل القطع، ولم تكن عملية تحديد التاريخ حاسمة، ما لم يترك للباحثين سوى حدس محير بأن الفخار المصنوع محليًا قد يتم العثور عليه يومًا ما في جيجورو.

وفي هذا الاطار، واصل ماكنيفن والفريق الحفر لكنهم فشلوا في العثور على أي علامات أخرى للفخار في قوقعة أخرى قريبة يعود تاريخها إلى 4000 عام. ثم تغير حظهم عام 2017؛ إذ عثر أحد طلاب علم الآثار في الفريق على القطعة الأولى من الفخار، على عمق 40 سم فقط تحت السطح. وفي هذا يقول شون أولم عالم الآثار بجامعة جيمس كوك «أتذكر أنني وإيان كنا ننظر إلى بعضنا البعض عبر الحفرة في ذهول. لقد أوقفنا أعمال التنقيب وقمنا بتوثيق الاكتشاف بعناية فائقة. وكانت هناك مناقشات عميقة طوال الليل حول ما قد يعنيه هذا الاكتشاف وكيف ينبغي لنا المضي قدمًا في عملية التنقيب من هنا».

وقد كشف التأريخ بالكربون المشع أن الطبقات الأعمق للوسط المحفور قد ترسبت منذ حوالى 6510 إلى 5790 سنة، ما يجعل جيجورو أقدم جزيرة بحرية محتلة في شمال الحاجز المرجاني العظيم.

كما وجد الباحثون أن إشغال الموقع زاد بشكل كبير منذ حوالى 3000 عام، عندما بدأت القواقع البحرية بالتراكم وسقطت أقدم قطع السيراميك الموجودة في الوسط في مثواها الأخير.

وعلى مدى ألف سنة أخرى أو نحو ذلك، حتى قبل حوالى 2000 سنة، كان السكان المحليون يصنعون الخزف ويستخدمونه ويتخلصون منه، كما يشير تاريخ الفريق؛ وهذا يجعل من سيراميك جيجورو أقدم فخار تم اكتشافه على الإطلاق في أستراليا. حيث تعود أقدم عشرين قطعة فخارية تم اكتشافها بجزيرة بالشمال في مضيق توريس الى عدة مئات من السنين، وتقع بين طرف البر الرئيسي الأسترالي وكيب يورك وبابوا غينيا الجديدة؛ حسب وصف ماكنيفن وزملاؤه عام 2006.

جدير بالذكر، ان التحليلات كشفت أن القطع كانت مصنوعة من الطين وتحتوي على الكوارتز والرمل الجيري والفلسبار على غرار رمال الشاطئ التي تم أخذ عينات منها في الجزيرة.

وتوصل الباحثون أيضًا إلى أن الشظايا كانت من أوعية صغيرة ذات جدران رقيقة وكانت أقل عرضة للتشقق من الأواني السميكة وأخف وزنًا في النقل.

ويعلّق أولم على هذا الأمر قائلا «نعتقد أن أسلاف الملاك التقليديين المعاصرين بجيجورو كانوا منخرطين في نظام تجاري واسع النطاق للغاية؛ شمل التبادلات الثقافية مع مجتمعات صناعة الفخار في بابوا غينيا الجديدة. كما كان سكان جيجورو بحارة يعرفون كيفية صناعة الفخار، وصنعوه محليًا».

ويضيف أولم «من المحتمل أنهم تبادلوا المعرفة التكنولوجية والسلع والأفكار مع مجتمعات الجزر الأخرى. إلّا ان تلك المعرفة بصناعة الفخار منذ ذلك الحين فقدت؛ إما لأسباب غير معروفة قبل الاستعمار البريطاني أو بسبب النزوح وتجزئة المجتمعات. لكن العثور على هذه الخزفيات المصنوعة بخبرة والمخبوزة منذ آلاف السنين يمكن أن يساعد المجتمعات المحلية على تنشيط هذه الممارسة وحماية جيجورو في المستقبل، من خلال تقديم أدلة ملموسة على احتلالهم للجزيرة».

لقد كانت عملية التنقيب هي الأولى التي يعمل فيها السكان الأصليون المحليون في جيجورو مع علماء الآثار لإعادة الاتصال بالتاريخ المتأصل في أراضي أجدادهم.

من أجل ذلك يقول بريان كوبوس شيخ نجورومونجو في بيان له «كل جزء من المعرفة التي نكتسبها يساعدنا على رواية قصة البلد». مؤكدا «أن مثل هذه المشاريع البحثية تساعدنا جميعًا على فهم البلد بشكل أفضل كما تساعدنا على فهم كيفية الاعتناء به».

اقرأ أيضاً

علماء آثار يحققون في حطام سفينة كندية غامضة

اقرأ أيضاً



اكتشاف آثار أقدام بشرية تعود لأكثر من مائة ألف عام في المغرب

مواضيع آثار